ملامح من الاتساع الصوتي في القراءات القرآنية

إعداد

سالم بن علي بن منصور البوسعيدي

طالب دكتوراه بجامعة السلطان قابوس، تخصص: فلسفة اللغة

سلطنة عمان ـ مسقط.

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

الجزء السابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

ملخص

ملامح من الاتساع الصوتي في القراءات القرآنية

الاتساع في اللغة ضرورة من ضرورات بقائها في لسان المتحدثين بها، وهو يتغلغل في جلّ مستويات اللغة الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، وقد حازت أكثر تلك المستويات على اهتمام الباحثين قديمًا وحديثًا .

هذا، ويهدف هذا البحث بالوصف والتحليل إلى الوقوف على بعض ملامح الاتساع الصوتي التي برزت في القراءات القرآنية، هذا الاتساع قد يكون لهجة عربية، وقد يكون مجانسة أو مماثلة لأصوات أخرى، فخرج عن قياس النحاة لذلك.

إعداد

سالم بن علي بن منصور البوسعيدي

Abstract

Features of audio amplitude in Quranic readings

The expansion of the language is a necessity of its survival in the language of its speakers. It permeates most levels of vocal, morphological, syntactic, and semantic language. And recently.

The purpose of this research is to describe and analyze some of the features of the vocal amplitude that emerged in the Qur'anic readings. This broadness may be an Arabic accent, and may be homogeneous or similar to other voices.

Setup

Salem bin Ali bin Mansour Al Busaidi

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعدّ الاتساع في اللغة ضرورة من ضرورات بقائها في لسان المتحدثين بها، وهو يتغلغل في جلّ مستويات اللغة الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، وقد حازت أكثر تلك المستويات على اهتمام الباحثين قديمًا وحديثًا.

وأما الاتساع في المستوى الصوتي فهو ماثل في العربية في كثير مما وصل إلينا من نصوص نثرية وشعرية، وقد انمازت القراءات القرآنية على غيرها من منثور كلام العرب، أنها وصلت إلينا مشافهة من خلال قّرائها ورواتها وطرقها المعروفة، أي إنها وصلت بجميع إيحاءاتها الأدائية الصوتية، بخلاف غيرها الذي وصل أكثره مكتوبًا فقط.

هذا، ويهدف هذا البحث بالوصف والتحليل إلى الوقوف على بعض ملامح الاتساع الصوتي التي برزت في القراءات القرآنية، هذا الاتساع قد يكون لهجة عربية، وقد يكون مجانسة أو مماثلة لأصوات أخرى، فخرج عن قياس النحاة لذلك.

والبحث ليس استقصاء مفصلًا لجميع صور الاتساع الصوتي في القراءات، فذلك مما لا يتسع له بحث واحد كهذا، وإنما الغرض إعطاء نماذج صوتية دالة على الاتساع للفت النظر إليها أولًا، وإعادة توجيهها على أنها نوع من الاتساع بدل تضعيفها أو ردّها ثانيًا.

وقد اقتضى البحث أن يأتي في محاور ثلاثة:

١- مفهوم الاتساع الصوتي.

٢- ملامح من الاتساع الصوتي في القراءات في (الإدغام والإمالة وإسكان المتحرك).

٣- خاتمة البحث ونتائجه.

مفهوم الاتساع الصوتيّ:

ورد الاتساع في اللغة بمعانٍ عدة، منها القدرة والطاقة، قال الخليل: "الوُسْع: جِدَةُ الرجل، وقدرة ذات يده. تقول: أنفق على قدر وُسعك، أي: طاقتك"[١]. وورد كذلك بما يفيد عدم التضييق، من ذلك: قول ابن فارس: "وهي كلمة تدل على خلاف الضيق والعُسر، يقال وَسُع الشيء واتَّسع، والوُسع الجِدةُ والطاقة"[٢]، وقول ابن منظور: "والسعة نقيض الضيق، وقد وَسِعَه يَسَعه ويَسَعُه سَعَةً"[٣]، ويُراد منه الشمول أحيانًا، كما يُفهم من تعريف الأزهري: "الواسع من صفات الله تعالى: الذي وسع رزقه جميع خلقه، ووسعت رحمته كل شيء"[٤]، فرزق الله وسع جميع خلقه، أي: شملهم، كما شملت رحمته كل شيء.

يتبين مما سبق، أن أبرز المعاني اللغوية للاتساع هي الدلالة على القدرة، وعدم التضييق، والشمول، وهذه المعاني سيكون لها أثر في توجيه المعنى الاصطلاحي للاتساع، وتحديدًا في الحقل الصوتي، موضوع هذه الدراسة.

---

١ – الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت:١٧٠هـ)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت) مادة: وَسِعَ (٢٠٣/٢).

٢ – ابن فارس، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، صححه: إبراهيم شمس الدين، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢م، (ص:٩١٤)، مادة: و س ع.

٣ – ابن منظور، لسان العرب مادة: و س ع، (٣٩٢/٨).

٤ – الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، مادة: وسع، (٦١/٣).

من خلال النظر فيما سبق، نستطيع صياغة مفهوم للاتساع الصوتي على أنه: ضرب من التنوع في الأداء الصوتي، وخروج به عن الأصل؛ لغرض الاقتصاد في الجهد، أو إيجاد الانسجام الإيقاعي بين الأصوات، أو هما معًا، مع مراعاة أمن اللبس ووضوح المعنى.

فهو من التنوع في الأداء الصوتي فقط، ليس له تأثير على المعنى تأثيرًا مباشرًا، وهو خروج عن الأصل الذي قرره أهل اللغة في قياسهم، فمثلًا الإظهار أصل؛ لأنه يعطي الصوت حقه في المخرج والصفة، فيكون الإدغام فرع وعدول عن الأصل لعلة صوتية [١]، كذلك الإمالة عدول عن الأصل الذي هو الفتح، بدليل جواز فتح كل ممال، ولا يجوز إمالة كل مفتوح، وإنما تدخل في بعضه في بعض اللغات[٢] كتقليل الجهد العضلي للناطق، أو مراعاة للانسجام بين الأصوات، أو للغرضين معًا، مثل ما نجده في الإتباع مثلًا، مع الأخذ في الاعتبار أن ذلك الأداء وذلك التنوع، لا يُلبس المعنى ولا يؤثر على وضوحه.

فالاتساع الصوتي للغة فيه دلالة على قدرة اللغة ومرونتها، فأهل اللغة العربية ذوو قبائل متنوعة لهجاتهم، متعددة نبرات أدائهم، وأبرز من حفظ لنا ذلك القراءات القرآنية، المتواتر منها، وغير المتواتر؛ فالقراءات تتلقى مشافهة؛ فتنتقل ملامحها الأدائية جميعها بين متلقيها، جيل بعد جيل، فهي بحق مخزون صوتي عظيم للغة العربية، يزيد اللغة ثراء وسعة، سواء قبله علماء اللغة أم رفضوه.

---

١ – القيسي، مكي، الكشف عن وجوه القراءات (١/١٣٤).

٢ – السابق (١/١٦٨).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ كثيرًا من الظواهر الصوتية يتخللها ما هو قياسي، وما هو غير قياسي، فالإدغام مثلًا نجد فيه المستويين، ومثله الإمالة وغيرهما... وكان موقف القدماء من المستوى غير القياسي مضطربًا، فمنهم من يقبله ومنهم من يرفضه، بل يضعّف القراءة القرآنية التي احتوت على تلك الظاهرة، ويصف القارئ باللحن أحيانًا؛ لأنها خالفت قياسًا ارتضاه واعتمده، وفي المقابل يبني رأيًا أو يدعم قولًا بعلة وجود بيت من الشعر شاهدًا عليه. يقول ابن حزم في ذلك:" ولا عجب أعجب، ممن أوجد لأمرئ القيس، أو لزهير، أو لجرير، أو الحطيئة، والطرماح، أو لأعرابي (...) أو من سائر أبناء العرب، لفظًا في شعر، أو نثر جملة في اللغة، وقطع به ولم يعترض فيه، ثم إذا وجد لله تعالى، خالق اللغات وأهلها، كلامًا لم يلتفت إليه، ولا جعله حجة، وجعل يصرفه عن وجهه، ويحرّفه عن مواضعه، ويتحيَّل في إحالته."[١] وقد اشتدّ ابن حزم في إنكار مذهب من لم ير الاحتجاج بالقراءات، بقوله: «من النّحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكما لفظيّا، ويتخذه مذهبًا، ثم تعرض له الآية على خلاف ذلك الحكم، فيأخذ في صرف الآية عن وجهها»[٢].

هذا، وسيعرض البحث بعضًا من تلك الظواهر الصوتية مقرونة بموقف العلماء منها.

---

١ – ابن حزم، علي بن أحمد (ت:٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة (د.ت) (٣/١٠٧-١٠٨)

٢ – حبش، محمد، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م، (ص:٣٧٣).

ملامح من الاتساع الصوتي:

أولًا: الإدغام.

الإدغام: إدخال شيء في شيء، ويقال: أدغمتُ الفرسَ اللجامَ، أي: أدخلتُه في فيه[١]، يقول القيسي: "فمعنى أدغمت الحرف في الحرف: أدخلته فيه، فجعلت لفظه كلفظة الثاني، فصارا مثلين، والأول ساكن فلم يكن بدّ من أن يُلفظ بهما لفظة واحدة، كما يُصنع بكل مثلين اجتمعا، والأول ساكن"[٢]. من خلال تعريف القيسي الإدغام ندرك أنّه ظاهرة صوتية تقوم على وجود صوت ساكن، وآخر متحرك، يكون الأوّل ساكنًا وهو الصوت المدغم، ويكون الآخر صوتًا متحرّكًا وهو المدغم فيه، فصارا مثلين. وعلة الإدغام –باتّفاق–طلب الخفّة، والتّيسير؛ لأنّ اللسان إذا لَفَظَ الحرف من مخرجه ثم عاد إليه مرة أخرى صعُب عليه، وقد شبَهه بعضهم بمشي المقيّد؛ لأنه يرفع رِجلًا ثم يعود إلى الموضع نفسه بعد ذلك، ويجعله بعضهم كمن يُعيد الحديث مرتين مُثقلاً على السّامع[٣].

ويعدّ القدماء الإظهار أصل، والإدغام عدول عنه؛ لعلة تأثيرية بين الأصوات، وتلبية لمطلب صوتي عارض، يقول ابن يعيش: "إن الإدغام إنما جيء به لضرب من التخفيف، فإذا أدّى ذلك إلى فساد عُدل عنه إلى الأصل"[٤]، فالتخفيف علة الإدغام بشرط أمن اللبس ووضوح المعنى.

---

١ – ابن منظور، لسان العرب، مادة: دَغَ مَ (٢٠٣/١٢).

٢ – القيسي، أبو طالب مكي (٤٣٧هـ)، الكشف عن وجوه القراءات، تح: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م (١٤٣/١).

٣ – السابق (١٣٤/١).

٤ – شرح المفصل (٥١٤/٥).

والإدغام نوعان: صغير وكبير، فأمّا الصغير فالذي يكون في المثلين، ولا يحصل إلا بعد سكون الأوّل من المتماثلين، وتحريك الثاني، ويكون في كلمة أو كلمتين، مثل: شدْدَ← شدَّ، واضربْ بَكرًا[١]، وأحكامه مبثوثة في كتب التجويد.

وأمّا الإدغام الكبير فما كان الأول من الحرفين متحركا سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين وسُمي كبيرًا لكثرة وقوعه؛ إذ الحركة أكثر من السّكون، وقيل لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه، وقيل لما فيه من الصّعوبة، وقيل لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين[٢].

وهذا النوع من الإدغام منسوب إلى أبي عمرو بن العلاء، ومن أمثلته: "قالَ لَهم" (البقرة:٢٧٤)، و" لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم" (البقرة:٢٠٠)، حيث يُسكن اللام في الأولى، ويسكن الباء في الثانية، ثم يدغمهما فيما بعدهما[٣]، تيسيرا وتخفيفًا.

وأبو عمرو بن العلاء معروف أنه من القراء السبعة، الذين ثبتت قراءاتهم بالتواتر إلى الرسول صلّى الله عليه وسلَّم، لكنّ النحاة وأهل اللغة يرفضون بعض أدائه في الإدغام، لأنه خرج في نظرهم عمّا ارتضوه من قواعد صوتية تخص الإدغام، من ذلك:

---

١ – ينظر: المرعشي، محمد بن أبي بكر (ت:١١٥٠هـ)، جهد المقل، تح: سالم قدوري الحمد، دار عمّار، الأردن،٢٠٠١م (ص:١٨٢).

٢ – ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية د.ت (١/٢٧٤-٢٧٥).

٣ – القيسي، مكي، الكشف عن وجوه القراءات (١/١٣٤).

قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة٢)، حيث أدغم أبو عمرو هاء "فيه" في هاء "هدى" بعد إسكانها، والهاء من حروف الحلق التي يرى سيبويه بأن حروف الحلق ليست بأصل في الإدغام[١]، وكذلك إدغام الباء بعد إسكانه في قوله تعالى: ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (الزمر: ٢)، ومنه إدغام التاء، في مثل قوله تعالى: ﴿الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا﴾ (المائدة: ١٠٦) ﴿الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾ (إبراهيم: ٢٣) وكذلك إدغام الثاء، في مثل: ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾(البقرة:٥٨) ومنه إدغام الدال في الثاء، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ (النساء:١٣٤)، وكذلك إدغام الراء في اللام بعد إسكانها في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ﴾ (هود:٧٨). فالإدغام الكبير واسع كثير، وهو يتطلب عمليات نطقية معقدة قبل حدوثه، ولعل إسكان الحرف الأخير من الكلمة الأولى سبب تضعيفه لدى كثر من اللغويين والنحاة، إذ إنها حركة إعراب، أضف إلى ذلك أنه قد يُدغم حرف قوي في حرف ضعيف، وهذا غير مستحسن لدى أهل اللغة[٢]، ومن باب التمثيل نأخذ قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ﴾ (هود:٧٨)، حيث أدغم الراء في اللام بعد إسكانها، وجمهور الأوائل يضعفون ذلك؛ لأنه يذهب بصفة أساسية للراء، وهي التكرير، ومع هذا نجد أنفسنا أمام رواية ثابتة تنص على إدغام هذين الحرفين. يقول الزمخشري: "ومدغم الراء في اللام لاحنٌ مخطئ خطأً فاحشًا. وراويه عن أبى عمرو مخطئ مرّتين؛ لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم. والسبب في نحو هذه الروايات قلة

---

١ – سيبويه،عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ) الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٨م (٤/٤٤٩).

٢ – القيسي، مكي، الكشف عن وجوه القراءات (١/١٣٥).

ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو"[١].

والزجاَّج كذلك ردّها ردًّا عنيفًا بقوله:" وهذا خطأ فاحش ولا أعلم أحدًا قرأ به غير أبي عمرو بن العلاء، وأحسب الذين رووا عن أبي عمرو إدغام الراء في اللاَم غالطين (...) لأنَّ الراءَ حرف مكرر فلو أدغمت في اللام ذهب التكرير"[٢]، ومثله ابن الأنباري، الذي يرى أن ذلك خطأ من الرَّاوي للقراءة، وهو غلط لا يصح؛ لما فيه من إجحاف لصوت الراء، الذي سيذهب تكريره عند إدغامه[٣].

إذن إدغام أبي عمرو هنا ضعيف لمخالفته أسباب الإدغام عندهم، وعلى رأسها أن تنقل الحرف الضعيف إلى أقوى منه، وليس العكس، متناسين أن القراءة سنة ثابتة، وأن ذلك فسحة صوتية تسمح بها اللغة، غرضها التيسير والتسهيل الذي هو مطلب لغوي، ولا سيما أنه أداء صوتي لا يؤثر على المعنى ولا يلبسه، فهو نوع من الاتساع الصوتي، مصدره قراءة ثابتة، علته التيسير والتخفيف.

وتجدر الإشارة إلى القيمة الصوتية لقراءة أبي عمرو بالإدغام الكبير من رؤية مقطعية فالمقاطع المشهورة في العربية:

---

١ – الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (٥٣٨هـ) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ (٣٣٠/١).

٢ – الزجاج، إبراهيم بن السّري (٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م، (٣٩٨/١).

٣ – ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (ت:٥٧٧هـ)، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٩٩٩م، (ص:٢٩١).

- القصيرة: ص ح، مثل الذي يظهر في أجزاء الفعل "كَتَبَ" ص ح/ ص ح/ص ح.
- المتوسطة: مفتوحة (ص ح ح) مثل: ما، في. ومغلقة (ص ح ص) مثل: قَدْ، مِنْ.
- طويلة: (ص ح ح ص) مثل "مِينْ" من كلمة: المسلمين. أو(ص ح ص ص) مثل: بِنْتْ، شَمْسْ، في حالة الوقف فقط.
- مديدة: (ص ح ح ص ص)، ولا يكون إلا في الوقف على المشدد، مثل: سارّ، ضارّ.

والمقطعان القصير والمتوسط، هما أكثر شيوعًا في العربية، أما المقاطع الطويلة والمديدة، فهي نادرة قليلة الشيوع، ووورودهما مقيد ــ في أغلب الأحيان ــ بحالة الوقف[١].

لكنْ بالإدغام الكبير يحدث تغير مقطعي في البناء، من ذلك قوله تعالى: "شَهْرُ رَمَضَان" بناؤها المقطعي قبل الإدغام: (ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح ح ص)، أما بعد الإدغام، فيتحوَّل إلى: (ص ح ص ص/ ص ح/ ص ح/ ص ح ح ص.

<u>فالتغير الذي نتج عن الإدغام الكبير فتمثل في الآتي:</u>

- اختزال في عدد المقاطع من خمسة إلى أربعة.
- تحول المقطع الأول من متوسط مغلق إلى طويل مغلق، وهو قليل الشيوع.

---

١ – الشايب، فوزي حسن، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٦م (ص:٧٠-٧٢).

- تقليل في عدد المقاطع القصيرة من ثلاثة إلى اثنين.

وأمثلة ذلك كثيرة عند الوقوف عليها وتقطيعها، وهو ما يدلل على اتساع صوتي واضح في البنية الصوتية للغة العربية، مصدره إحدى القراءات السبع المتواترة.

ثانياً: الإمالة.

الإمالة لغة: الانحراف، والعدول عن الشيء أو الإقبال عليه، وهو مصدر أملت الشيء أميله إمالة، والميل: الانحراف عن القصد[١].

واصطلاحا: تنقسم إلى قسمين: كبرى، وصغرى، فالكبرى: أن تقرب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء، من غير قلب خالص، ولا إشباع مبالغ فيه، وهي الإمالة المحضة، ويقال لها: الإضجاع، والبطح، وهي المرادة عند الإطلاق. والصغرى: هي ما بين الفتح والإمالة الكبرى، ويقال لها: التوسط، والتقليل، وبين اللفظين، وبين بين: أي بين الفتح والإمالة الكبرى.

واعلم أنه لا يمكن للإنسان أن يحسن النطق بالإمالة سواء كانت كبرى، أو صغرى، إلا بالتلقي والمشافهة.

ويُنسب الفتح إلى القبائل العربية التي كانت مساكنها غربي الجزيرة العربية بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال: (قريش، وثقيف، وهوازن، وكنانة) وتنسب الامالة إلى القبائل التي كانت تعيش وسط الجزيرة العربية، وشرقيها، أمثال: (تميم، وأسد، وطي، وبكر بن وائل، وعبد القيس)[٢].

---

١ – نهر، هادي، علم الأصوات النطقي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١١م (ص:١٨٥).
٢ – محيسن، محمد سالم، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م (٢٩٣/١).

الغرض من الإمالة:

العلة الصوتية تأتي في مقدمة علل الإمالة؛ فتشاكل الأصوات، وتقاربها وانسجامها وخروج الكلام من مخرج واحد، هي الدافع الصوتي للإمالة، يقول سيبويه نقلًا عن الخليل: «زعم الخليل: أن إجناح الألف أخفّ عليهم، يعني: الإمالة، ليكون العمل من وجه واحد، فكرهوا ترك الخفة»[١]، ذلك أن النطق بالفتحة والألف تصعّد واستعلاء، وبالكسرة انحدار وتسفّل، فإذا أملت الألف قرّبتها من الياء، وإذا أملت الفتحة قرّبتها من الكسرة، فتصير الأصوات على نمط واحد في الانحدار[٢].

القرَّاء والإمالة:

تباينت مذاهب القراء في الإمالة، فمنهم المُكثر ومن المُقل، ومنهم من شارك غيره، ومنهم من انفرد بإمالة، ومنهم من اطردت إمالاته، ومنهم من خالف أصله. والقراء مع كل هذا التباين متبعون لا مبتدعون، من صح عنده وجه قرأ به[٣].

فالمقلون: قالون، والأصبهاني عن ورش، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب.

والمكثرون: الأزرق عن ورش، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف[٤].

---

١ – سيبويه، الكتاب، (٢٧٨/٣).

٢ – نهر، هادي، علم الأصوات النطقي (ص:١٨٥).

٣ – الجرمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، ٢٠٠١م (ص:٥٢).

٤ – السابق (ص:٥٢).

أسباب الإمالة:

تعددت أسباب الإمالة ودوافعها، وكلها تعود إلى وجود الكسرة أو الياء، فتمال الألف إليها، وقد تكون هناك أسباب أخرى غيرها، تفاوت أهل اللغة في قبولها أو رفضها، وتتلخص أسباب الإمالة ــ كما ذكرها عبد العزيزــ الصيّغ في الآتي[١]:

١- الكسرة قبل الألف مثل (كِتاب) أو بعدها مثل (عالِم).

٢- الياء قبل الألف مثل (شَيْبان، عَيْلان) أو بعدها مثل (مُبايع).

٣- الإمالة للإمالة مثل (رأيت عِمادِا) فيُميلون الألف المبدلة من التنوين في حال النصب؛ لإمالة ألف (عمادا) التي بعد الميم، وهي التي أُميلت لأجل الكسرة.[٢]

والإمالة للإمالة تُسمى عند بعضهم مجاورة المُمال[٣]، وهذا النوع من الإمالة يضعفه بعض النحاة، يقول ابن الحاجب: "هو سبب ضعيف، ولذلك لم يعتد به إلا بعض المُميلين"[٤]، وجعلها السيوطي إمالة عارية من الأسباب حين قال: "وأميل بلا سبب للمجاورة، والفواصل، قيل وكثرة

---

١ - الصيغ، عبد العزيز، الأصوات عند سيبويه في ضوء علم الأصوات الحديث، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩م، (ص:٥٤٤).

٢ - القيسي، مكي، الكشف عن وجوه القراءات (١٩١/١).

٣ - السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر (د.ت)، (٤٢١/٣).

٤ - ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر(ت:٦٤٦هـ)، الإيضاح في شرح المفصل، طبعة العاني، بغداد، ١٩٨٢م، (٢٩٦/٢).

الاستعمال"[١]، فهم لم يعتدوا به سببًا وجيهًا من أسباب الإمالة، ربَّما لأنهم فهموا ضعف هذا النوع من قول سيبويه: "وقال ناس: رأيت عمادا فأمالوا للإمالة"[٢]، فقوله: "قال ناس" قد يُفهم منه الضعف والقلة، وقد يُفهم منه عدم معرفة من يُميل، ولكنَّ العجب أن السيوطي ذكر أن من دواعي الإمالة هنا كثرة الاستعمال، وكثرة الاستعمال، مع تحقق الغرض الأصلي من الإمالة، وهو التناسب الصوتي وانسجامه، سبب وجيه ومطلب لغوي، تدعمه اللغة ولا تضعفه، وقد ذكر السيوطي بعض المواضع من الإمالة للإمالة الكافية حجة على وجودها الثابت في القراءات، يظهر ذلك من قوله: "وقد قرأ القرَّاء بالإمالة للإمالة في عدة كلم من ذلك صاد {والنصارى} [البقرة: ٦٢] وتاء {واليتامى} [البقرة ٨٣] وسين {أسارى} [البقرة: ٨٥] وكاف {سكارى} [النساء: ٤٣] أمالها بعض القراء لإمالة ما بعدها، وقولنا مجاورة الممال يشمل ما أميل لتقدم الإمالة عليه، وما أميل لتأخر الإمالة عنه، ومن أسبابها مراعاة الفواصل كإمالة {والضحى، والليل إذا سجى} [الضحى:١ – ٢] بمراعاة (قلى) وما بعده من رءوس الآي"[٣]، فتعدد نماذجها في القرآن الكريم، دليل على أصالتها في اللغة، ولا سيّما أن مصدرها بعض القراءات السبع المتواترة.

---

١ – السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع (٤٢١/٣).

٢ – سيبويه، الكتاب (١٢٣/٤)

٣ – السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع (٤٢١/٣).

موانع الإمالة:

تمتنع الإمالة في حالة وجود أحد الأصوات السبعة المستعلية، ومعها الراء غير المكسورة، سواء قبل الألف أو بعده، قبله مباشرة أو قبله بحرف ، وبعده مباشرة أو بحرف أو بحرفين، مما يستنتج أن تأثير هذه الألف بعدها أقوى منه قبلها، وهذه الحروف، كما ذكرها العكبري في قوله: " وموانع الإمالة حروف الاستعلاء، والراء، فحروف الاستعلاء سبعة وهي: الخاء والغين والقاف والصاد والضاد والطاء والظاء"[١]، أما علة منع الإمالة مع هذه الحروف فقد أشار إليها القدماء، من ذلك ما نجده عند ابن يعيش بقوله:" هذه الحروف من موانع الإمالة؛ لأن الصوت يستعلي عند النطق بها إلى أعلى الحنك، والإمالة تسفل، وكان بينهما تناف. وهي، مع ذلك، إذا كانت بعد الألف، كانت أدعى لمنع الإمالة منها إذا كانت قبله؛ لأنها إذا كانت بعد الألف، كنت متصعدًا بالمستعلي بعد الانحدار بالإمالة. وإذا كانت قبله، كنت منحدرًا بعد التصعد بالحرف. والانحدار أخف عليهم من التصعد (...) لأن المستعلي إذا تقدم كان أخف عليهم؛ لأنك تكون كالمنحدر من عال. وإذا تأخر كنت مصعدًا بالمستعلي بعد التسفّل بالسين، وهو أشق"[٢]. وهو تعليل قائم على مبدأ طلب الخفة، والبعد عن الثقل، وهذه العلة تنسجم وطبيعة اللغة، لذلك فهي علة منطقية للغة.

---

١ – العكبري، عبد الله بن الحسين (ت:٦١٦هـ)، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م (٤٥٤/٢).

٢ – ابن يعيش، علي بن يعيش (٦٤٣هـ)، شرح المفصل للزمخشري، تقديم: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م (١٩٧/٥).

ولم يذهب المحدثون في تعليلهم إلى أبعد من ذلك؛ إذ يرى بعضهم أن الغرض من الإمالة المجانسة، ووجود هذه الحروف لا تنسجم مع الإمالة، فاللسان عند النطق بهذه الحروف يلزم أن يكون في أعلى الحنك، وقد كان في أسفله، والانتقال المفاجئ من الأسفل للأعلى فيه مشقة وجهد عضليّ أكثر، فمنع الإمالة هنا يسوغه الاقتصاد في الجهد العضلي[١]. لكنَّ محاولات التقعيد لموانع الإمالة، أو مسوغاتها، لم تُحكم هذه الظاهرة فقد ورد عن القرّاء بعض الإمالات عدَّها أهل اللغة من الإمالات الشاذة، إضافة إلى ذلك أنَّ تعليلهم لبعض الإمالات فيه تكلّف، من ذلك: تفسيرهم إمالة "غزا"، و"دعا" وهي أفعال ناقصة واوية، إلى الركون إلى صيغة المبني للمجهول (غُزي، ودُعي) ليبينوا أن أصلها الياء، ومثله تعليلهم إمالة "مات"، الذي أصله "مَوَت" إلى الجنوح إلى ضمير المتكلم في الماضي "مِتُّ" حيث الميم تكون مكسورة[٢]، فليس معنى ذلك أن تعليلهم باطل، وإنما يجب اعتبار الإمالة ظاهرة لغوية ثابتة في قبائل عربية جاءت بها بعض القراءات القرآنية الصحيحة، فلا ينبغي الانتصار لبعضها في مقابل تضعيف بعضها، والنظر إليها من باب الاتساع الصوتي فيه مخرج من ذلك.

---

١ – بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م (ص:٤٥٥).

٢ – السيرافي، الحسن بن عبد الله (٣٦٨هـ)، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م (٤٩٨/٤).

ثالثاً: إسكان المتحرك.

سبقت الإشارة إلى أن طلب الخفة والبعد عن الثقل من قوانين اللغة التي أقرها القدماء والمحدثون[١]، وظهرت في الكثير من تعليلاتهم للتغيرات الصوتية والصرفية والنحوية. ومن هذا الباب يأتي إسكان المتحرك، فالسكون أخف من الحركة وبالتخفيف يُعلل إيثار السكون عن الحركة في بعض الصيغ، كما أنه لهجة لبعض قبائل العرب، يقول الجندي: «إن ظاهرة حذف الحركات تتلاءم وتميم البدوية، حيث إنهم يميلون إلى السرعة في النطق، الذي ينتهي إلى الاقتصاد في الجهد العضلي»[٢].

والسكون يُعرف أنه: «ضدّ الحركة، فيقال: سكن الشيء يسكن سكونًا إذا ذهبت حركته»[٣]، وفي اصطلاح النحاة: «عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف، فلا يحدث بعد الحرف صوت؛ فينجزم عند ذلك، أي: ينقطع، فلذلك سُمِّي جزمًا اعتبارًا بانجزام الصوت، وهو انقطاعه، وسُمّي سكونًا باعتبار العضو الساكن»[٤].

إذن فالسكون لا يعدّ حركة، إذ هو قطع للحركة، وما ورد عند القدماء من عدّه حركة فهو تجّوز في التسمية، نظرًا لاشتراكه معها في

---

١ – الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٦م (ص:٤٨).

٢ – السابق (٢٤٦/١).

٣ – ابن منظور، لسان العرب، مادة: سكن (٢١١/١٣)

٤ – السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت:٥٨١هـ)، نتائج الفكر في النحو (ص:٦٧).

الوظائف النحوية والصرفية، وليس في القيمة السمعية، فالسكون لا قيمة سمعية له (السكون= صفر)[١].

ومن هذا الباب ما ورد في قراءة أبي عمرو من إسكان حركة الإعراب، التي وقف أمامها القدماء مواقف تميل إلى تضعيفها، فقد روي عنه إسكان الهمزة في قوله تعالى: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ ﴾ (البقرة:٥٤)؛ إذ رُوي عنه إسكان الهمزة (بارِئْكُم)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ (الأعراف:١٥٧) فقد قرأ أبو عمرو (يأمرْهُم) بإسكان الراء، وقرأ الباقون من السبعة بالحركات[٢]، وقد علَّل القيسيّ قراءة أبي عمرو بإسكان الحركة طلبًا للتخفيف فقال: « وعلة من أسكن أنه شبّه حركة الإعراب بحركة البناء؛ فأسكن حركة الإعراب استخفافًا»[٣].

والقيسي له رأي في قراءة أبي عمرو هذه، فهو يرجح القراءة بتمام الحركات؛ إذ هي قراءة الأصل، يقول: «والاختيار تمام الحركات؛ لأنه الأصل، وعليه جماعة القراء (...) ولأنَّ الإسكان إخلال بالكلام، وتغيير للإعراب»[٤]، وكان الميل إلى تضعيف رواية قراءة أبي عمرو عند القيسي

---

١ – بشر، كمال، دراسات في علم اللغة (ص:١٧٩–١٨٠).

٢ – المالكي، أبي على الحسن بن محمد البغدادي (ت:٤٣٨هـ)، الروضة في القراءات الإحدى عشرة، تح: مصطفى عدنان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠٤م (٥٣٣/٢).

٣ – القيسي، مكي، الكشف عن وجوه القراءات (٢٤٠/١).

٤ – السابق (٢٤٢/١).

أن ذكر في المواضع نفسها رواية القراءة باختلاس الحركة[١]، التي نالها التضعيف من القيسي كذلك، يقول: «والاختلاس فيه تكلّف وتعمّد ومؤونة، وهو خارج عن الأصول قليل العمل به قليل الرواية له»[٢].

ورأي القيسي في تضعيف قراءة أبي عمرو بإسكان المتحرك يسير في حقيقته مع رأي كثير من النحويين، فهذا إمام النحويين سيبويه يرى أنها متحركة، وإنما جاءت على الاختلاس والإسراع بها في اللفظ، يقول: «وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسًا، وذلك قولك: يضْرِبُها ومن مَأْمَنَك، يُسرعون اللفظ. ومن ثَمَّ قال أبو عمرو: "إلى بارِئِكُم" ويدلُّك على أنها متحركة قولهم: مِنْ مَأْمَنك، فيُبيِّنون النون، فلو كانت ساكنة لم تحقَّق النون»[٣]. يُفهم من كلام سيبويه تضعيف قراءة الإسكان، وأن ما روي عن أبي عمرو ما هو إلا اختلاس للحركة والإسراع بها.

وموقف المبرد من رواية أبي عمرو كان متشدّدًا؛ فقد عرض أبو حيان رأيه في هذه الرواية بقوله: «ومنع المبرد التسكين في حركة الإعراب، وزعم أن قراءة أبي عمرو لحن، وما ذهب إليه ليس بشيء، لأن أبا عمرو لم يقرأ إلا بأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، فإنكار

---

١ – الاختلاس: هو الإسراع بنطق الحركة، إسراعاً يحكم السامع به أنّ الحركة قد ذهبت، بينما هي كاملة في الوزن. والحرف المختلس حركته يُسرع اللفظ بها بحيث يظن السامع أنّ حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، في حين أنها كاملة في الوزن تامة في الحقيقة إلا أنها لم تمطط. (الداني أبو عمرو، التحديد/ ٩٧؛ والقرطبي، عبد الوهاب، الموضح/ ١٩٢).

٢ – القيسي، مكي، الكشف عن وجوه القراءات (٢٤٢/١).

٣ – سيبويه، الكتاب (٢٠٢/٤).

المبرد منكر»[١]، وموقف أبي حيّان يظهر من رده على المبرد إذ هو يرى أن القراءة سنة متبعة يلزم اتباعها وأن قراءة أبي عمرو ثابتة في لغة العرب.

أما ابن جني فهو يشكك في القراءة بالإسكان كذلك، ويرجح القراءة باختلاس الحركة، يقول: «قوله عز وجل: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ﴾ مُختلسًا غير ممكَّن كسر الهمزة، حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ، إلى أن ادَّعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة، لا حذفها البتة، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنًا. ولم يؤت القوم في ذلك من ضعف أمانة، لكن أُتوا من ضعف دراية»[٢]، فالتشكيك في القراءة بالإسكان واضح، وترجيح القراءة بالاختلاس طريق لرفض القراءة بالإسكان، ورأي الزّجاج في هذه القراءة كرأي ابن جني في ترجيح الاختلاس.[٣]

إنَّ حذف حركة الإعراب وجه من وجوه العربية، ويكفي أن قراءة متواترة أثبتته، ومحاولة ردّ بعض النحاة لقراءة أبي عمرو لا يُفسر إلا برغبة في الانتصار لقواعدهم التي وضعوها وسوروها، وهذا الموقف من النحاة في ردّ بعض القراءات وتضعيفها كثير وروده، ويرجع في كثيره إلى عدم وجود مقياس متفق عليه عندهم، يرجعون إليه في قبول القراءة أو رفضها.

---

١ – أبو حيان، البحر المحيط (١/٣٣٣-٣٣٤).

٢ – ابن جني، الخصائص (١/٧٣).

٣ – الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (١/١٣٦).

وقراءة أبي عمرو هذه على لهجة تميم تتمثل في «تسكين حركة الإعراب للتخفيف (...) وقد نقلها القراء عنه، ولها شواهد عدّة في القراءات، والمنثور من كلام العرب والشعر»[١]. ونظير قراءة أبي عمرو – بإسكان حركة الإعراب–قراءة حمزة لقوله تعالى:﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ (فاطر:٤٣)؛ فقد قرأ حمزة بإسكان الهمزة (السَّيِّئْ)، وفيها يقول القيسيّ: «وحجة من أسكن أنّه استثقل كسر على ياء مشددة (...) والكسرة ثقيلة، وهي على الياء المشددة أثقل (...) فأسكن الهمزة استخفافًا، وهو على ذلك ضعيف؛ لأنه حذف علامة الإعراب»[٢]، وهذا الحكم بتضعيف هذه القراءة من القيسي، يوحي بتمسك القيسي بمقياس قوة وجه القراءة في العربية؛ إذ إنها جاءت على خلاف المشهور عند النحاة.

كما يظهر إيثار السكون عن الحركة في إسكان ميم ضمير الجمع (هُمْ) إذا سُبق ب (على، أو إلى، أو لدى)، ومنه قوله تعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة:٧) فقد قرأها السبعة إلا ابن كثير بسكون الميم، أما ابن كثير فقد قرأها بضم الميم، وصلتها بواو[٣](عَلَيْهِمُو)، إذ الأصل فيها ضم الميم، لكنها «أُسكنت استخفافًا»[٤]، كما أنه «آثر للتخفيف»[٥]، فالتخفيف علة إسكان الميم، والضم على الأصل، في نظر

١ – الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث (٢٤٥/١).
٢ – القيسي، مكي، الكشف عن جوه القراءات (٢١٢/٢).
٣ – السابق (٣٨/١–٣٩).
٤ – السابق (٣٥/١).
٥ السابق (٤٠/١).

القيسي، وافقه في أن علة الإسكان التخفيف من النحاة: سيبويه[١]، والأستراباذي[٢]، وابن يعيش[٣]، وناظر الجيش[٤]، وهو كذلك رأي ابن مجاهد من القراء.[٥]

أما القيمة الاقتصادية في الجهد العضلي بين القراءة بإسكان الميم، والقراءة بتحريكها فتتلخص في توفير مقطع صوتيّ كامل، وذلك على النحو الآتي:

- القراءة بإشباع حركة الميم (عَلَيْهِمُو): ص ح/ ص ح ص/ ص ح / ص ح ح (قصير + متوسط مغلق+ قصير+ متوسط مفتوح)
- القراءة بإسكان الميم (عَلَيْهِمْ): ص ح / ص ح ص / ص ح ص (قصير+ متوسط مغلق+ متوسط مغلق).

والاستغناء عن مقطع صوتي قصير، وتحويل المتوسط المفتوح إلى متوسط مغلق هو ضرب من التخفيف في الجهد العضلي للمتكلم.[٦]

ومن المواضع كذلك: إسكان حركة الحرف في بنية الكلمة، مثل قوله تعالى: « ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٩) وذلك بإسكان هاء الضمير(وَهْوَ) في قراءة أبي عمرو والكسائي للضمائر: (وهْي، وهْو، فهْي،

---

١ – الكتاب (١٩٤/٤).
٢ – شرح شافية ابن الحاجب (٥٠١/١).
٣ – شرح المفصل (٢٣٨/٥).
٤ – تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد (٤٨٢/١).
٥ – السبعة في القراءات (ص:١١٠).
٦ – القرالة، زيد خليل، بحث (الحذف الصوتي في القرآن الكريم وقراءاته) المجلة الأردنية في في اللغة العربية، مج: ٧، ع:١، ٢٠١١م (ص:٢٥٤).

لهْي) إذا سُبقت ب (واو، أو فاء، أو لام) يقول القيسي فيها: «وعلة من أسكن الهاء، أنها لمّا اتصلت بما قبلها من واو، أو فاء، أو لام، وكانت لا تنفصل منها، صارت كلمة واحدة؛ فأسكن الوسط، وشبهها بتخفيف العرب لعَضْد، وعَجْز (...) فيسكنون استخفافًا، وهي لغة مشهورة مستخدمة»[١]، ونظير ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ (البقرة:١٦٨) فقد قُرأت (خُطْوات) بإسكان الطاء، وهي قراءة السبعة ما عدا: ابن عامر، والكسائي، وحفص، فقد قرأوها بضم الطاء (خُطُوات)، وعلة إسكان الطاء طلب الخفة يقول القيسي: «وقرأ الباقون بإسكان الطاء تخفيفًا (...) والإسكان أولى لخفته، ولأن عليه أكثر القرّاء»[٢]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾(البقرة:٨٧) قرأها ابن كثير (القُدْس) حيث وقع في القرآن، وذلك على الاستخفاف، وقرأ الباقون بالضم، على الأصل.[٣]

وقد أشار كثير من القدماء إلى خفة السكون وثقل الحركة، يعللون وروده في سياقات نحوية، وصيغ صرفية، من ذلك ما ذكره السيرافي معللًا البناء في الأسماء بقوله: «المبني الذي لا يكون متمكنا بحال لمّا كان لا يوجد إلا ثقيلًا أعطوه أخفَّ ما يقع في النطق وهو السكون»[٤]، فالسكون في في رأي السيرافي أخف من الحركات بأنواعها.

---

١ – السابق (١/٢٣٤).
٢ – السابق (١/٢٧٣-٢٧٤).
٣ – السابق (١/٢٥٣).
٤ – السيرافي، أبو سعيد (ت:٣٦٨هـ)، شرح كتاب سيبويه (١/٨٠).

نجد التصريح نفسه عند أبي البقاء العكبري، من قوله: «السكون أخفّ من الحركة، هذا مما لا ريب فيه، ولذلك كان المبني والمجزوم ساكنين»[١].

نجد بعد ذلك الأستراباذي يعلل اختيار السكون عند الوقف، فيقول: «لأنَّ الوقف ليس إلا على آخر الكلمة، وآخر الكلمة محل التخفيف، فناسب ذلك أن يُؤتى بالحرف على أخفِّ أحواله»[٢]، فالوقف يوحي بانتهاء طاقة الناطق، وانقطاع النَّفَس غالبًا، عندئذ يكون السكون أخفّ ما يمكن أداؤه.

وإلى المعنى نفسه يشير السيوطي بقوله: «الوقف موضع استراحة؛ لأنه موضع يضعف فيه الصوت، فاختاروا للحرف الموقوف عليه أخف الأحوال، وهو السكون»[٣].

ولكن في المقابل نجد لابن جني رأيًا في خفة السكون مقابل الفتح؛ حين علّل إسكان المتحرك بالفتح في قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ (البقرة:١٠) والتي قُرئت (مَرْضٌ) بإسكان الراء[٤]، قال عنها ابن جني: «لا يجوز أن يكون "مَرْضٌ" مخففًا من "مَرَضٌ"؛ لأن المفتوح لا يخفف؛ وإنما ذلك في المكسور، والمضموم، كإبْل وفخْذ، وطنْب وعضْد، وما جاء عنهم من ذلك في المفتوح، فشاذ لا يقاس عليه»[٥]، فالفتح عند ابن جني أخف من

---

١ – العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (٦١٦هـ)، مسائل خلافية في النحو (ص:٩٧).
٢ – الأستراباذي، حسن بن محمد (ت:٧١٥هـ)، شرح شافية ابن الحاجب (٥١٢/١).
٣ – السيوطي، جلال الدين (ت:٩١١هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجامع (٤٣٢/٣).
٤ – وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء، والأصمعي. ينظر: أبو حيان (ت:٧٤٥)، البحر المحيط (٩٥/١).
٥ – ابن جني، أبو الفتح، المحتسب (٥٣/١).

السكون، أما إذا كان إسكان المتحرك بغير الفتح فإنه يعلله بطلب الخفة، يقول في موضع آخر: «أما "تُشْرًا" فتخفيف "تُشُرًا" في قراءة العامة، والنُّشُر جمع نَشُور؛ لأنها تَنْشُر السحاب وتستدرُّه، والتثقيل أفصح؛ لأنه لغة الحجازيين، والتخفيف في نحو ذلك لتميم»[١]، وقد علّق حسام النعيمي على قول ابن جني السابق بقوله: « هذا الذي ذكره حجة عليه لا له، فقد أثبت أن العرب قد نطقت بكلمات اختلفوا فيها بين الفتح والسكون (...) وقد نصّ في موضع آخر: "أما نُشْرا، فتخفيف نُشُرا" ويقوي القول بإسكان المفتوح أيضًا قوله: "يُقال لمْ فعلت كذا...ولمَ فعلته"»[٢]، يبدو من تعليق النعيمي على أقوال ابن جني في تضعيفه إسكان المتحرك بالفتح، وإثباته إسكان المتحرك بالضم، أن ابن جني قد وقع في تناقض فهو يُضعّف ثم يثبت، والأمر ليس كذلك فابن جني منسجم في رأيه، فهو يرجح إسكان المتحرك بالضم؛ لأن السكون أخف من الضم، ويضعّف إسكان المتحرك بالفتح؛ لأن الفتح في نظره أخف من السكون، فلا تباين بين قوله ولا تناقض، فرأيه بخفة الفتح على السكون يتفق مع آراء بعض النحاة. إذن فالتخفيف لهجة تميم، والتثقيل للحجازيين، وهما فصيحتان بإجماع النحويين، وقد أكدت القراءات القرآنية الكثير من الظواهر الصوتية التي جاءت عنهم.

فالتسكين إذا لم يوقع في لبس فلا مانع منه وهو نوع من الاتساع الصوتي أثبتته بعض القراءات القرآنية المتواترة، ويبقى رصيدًا لها في قادم الأزمان.

---

١ – السابق (٢٥٥/١).

٢ – النعيمي، حسام، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني (ص:٢٢٢).

وختاماً، يمكن الخروج مما سبق بخلاصة تُوجز فيما يأتي:

١-الاتساع الصوتي فيه دلالة على الثراء الأدائي للغة العربية، وهو من أسرار قوتها وبقائها.

٢-تعد القراءات القرآنية رافدًا أصيلًا من روافد الاحتجاج اللغوي سواء كانت القراءة متواترة أم آحادًا أم شاذة.

٣-ردّ بعض النحاة لعدد من الظواهر الأدائية في القراءات القرآنية لا مسوغ له، وتخريج ما خرج عن القياس بالاتساع الصوتي، فيه مخرج لغوي علمي من مغبة الدخول في مسؤولية الردّ والتضعيف.

٤-الاتساع الصوتي في القراءات القرآنية يعد رصيدًا لغويًّا حيًّا لهذه اللغة العظيمة، وهو دليل على ثرائها ومرونتها.

المصادر والمراجع:

١. ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (ت:٥٧٧هـ)، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٩٩٩م.

٢. ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية (د.ت) .

٣. ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر(ت:٦٤٦هـ)، الإيضاح في شرح المفصل، طبعة العاني، بغداد، ١٩٨٢م.

٤. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت:٣٩٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف، ١٩٩٩م.

٥. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت:٣٩٢)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.ت).

٦. ابن حزم، علي بن أحمد (ت:٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة (د.ت).

٧. ابن فارس، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، صححه: إبراهيم شمس الدين، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢م.

٨. ابن مجاهد، أحمد بن موسى(ت: ٣٢٤هـ)، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ١٤٠٠هـ.

٩. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٠. ابن يعيش، علي بن يعيش (٦٤٣هـ)، شرح المفصل للزمخشري، تقديم: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

١١. ابن يعيش، محمد بن علي (ت:٦٤٣) شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠١م.

١٢. أبو حيان، محمد بن يوسف (ت:٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ).

١٣. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

١٤. الإستراباذي، محمد بن الحسن الرضي (ت: ٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد محيي الدين وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.

١٥. بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٦. الجرمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، ٢٠٠١م.

١٧. الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، مصر، ١٩٨٣م.

١٨. حبش، محمد، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م.

١٩. الداني، أبو عمرو (ت:٤٤٤هـ) التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار مكتبة الأنبار، بغداد، ١٩٨٨م.

٢٠. الزجاج، إبراهيم بن السّري (٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

٢١. الزجاج، إبراهيم بن السري (ت:٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٢. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (٥٣٨هـ) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٣. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت:٥٨١هـ)، نتائج الفكر في النحو،

٢٤. سيبويه،عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ) الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٨م.

٢٥. السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت:٣٦٨هـ) شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٨م.

٢٦. السيرافي، الحسن بن عبد الله (٣٦٨هـ)، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.

٢٧. السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر (د.ت).

٢٨. الشايب، فوزي حسن، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٦م.

٢٩. الصيغ، عبد العزيز، الأصوات عند سيبويه في ضوء علم الأصوات الحديث، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩م.

٣٠. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت: ٦١٦هـ) مسائل خلافية في النحو، تح: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

٣١. العكبري، عبد الله بن الحسين (ت:٦١٦هـ)، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.

٣٢. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت:١٧٠هـ)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).

٣٣. القرالة، زيد خليل، بحث (الحذف الصوتي في القرآن الكريم وقراءاته) المجلة الأردنية في اللغة العربية، مج: ٧، ع:١، ٢٠١١م.

٣٤. القرطبي، عبد الوهاب بن محمد (ت:٤٦١) الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمّار، الأردن، ٢٠٠٠م.

٣٥. القيسي، أبو طالب مكي (٤٣٧هـ)، الكشف عن وجوه القراءات، تح: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

٣٦. المالكي، أبي على الحسن بن محمد البغدادي (ت:٤٣٨هـ)، الروضة في القراءات الإحدى عشرة، تح: مصطفى عدنان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠٤م (٥٣٣/٢).

٣٧. محيسن، محمد سالم، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٨. المرعشي، محمد بن أبي بكر (ت:١١٥٠هـ)، جهد المقل، تح: سالم قدوري الحمد، دار عمّار، الأردن،٢٠٠١م.

٣٩. ناظر الجيش، محمد بن يوسف (ت:٧٧٨)، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٤٢٨هـ.

٤٠. النعيمي، حسام، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م.

٤١. نهر، هادي، علم الأصوات النطقي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١١م.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١.	ملخص	٥٩٥٥
٢.	Abstract	٥٩٥٦
٣.	مقدمة	٥٩٥٧
٤.	مفهوم الاتساع الصوتيّ:	٥٩٥٩
٥.	ملامح من الاتساع الصوتي:	٥٩٦٢
٦.	أولًا: الإدغام.	٥٩٦٢
٧.	ثانياً: الإمالة.	٥٩٦٧
٨.	ثالثاً: إسكان المتحرك.	٥٩٧٣
٩.	الخاتمة	٥٩٨٢
١٠	المصادر والمراجع:	٥٩٨٣
١١	فهرس الموضوعات	٥٩٨٨